حكايات من القرآن

٧

لقمان الحكيم

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

(عُميرُ) طالبٌ هادِئ ذَكِيٌّ... عَلاماتُ النَّجاحِ دائِماً تُرافِقُه.. وكُلُّ المُدَرِّسِينَ يُحِبُّونه ، وَيَتَحَدَّثونَ عنه كَقُدْوةٍ وأُسْوةٍ صالحةٍ لِكلِّ الطُّلابِ.

وفي حِصَّةِ التَّربيةِ الدِّينيَّةِ ، قالَ له المُدَرِّسُ: أسألُ اللهَ أن يَجْعَلَكَ شَابّاً حَكِيْماً كَلُقْمان الحَكِيمِ..!!

وفي باحةِ المَدْرسةِ ، سألتْ (بُشْرى) أخاها (خالداً) عن الحَكِيمِ لُقْمان.

لكنَّ (خالداً) ليسَ لَدَيْه مَعْلُومَاتٌ عنه.

وبَعْدَ انْتِهاءِ دَوامِ المَدْرسةِ ، سارَ التَّلامِيذُ باتِّجاهِ البيوتِ.. وأثناءَ الطَّريقِ قالت (بُشْرى)

لأَخَوَيْها: ما رأيُكمُ أنْ أَطْلُبَ من جَدِّي أن يَحْكِيَ لنا حِكايةَ لُقْمان الحَكِيمِ ؟

قالَ (طارقٌ): ولكنَّ جَدِّي اشْتَرطَ علينا منذُ وُصُولهِ إلى اللاذِقِيَّةِ ، أنَّه لن يُحَدِّثَنا إلا عن القَصَصِ الواردةِ في القُرْآنِ الكَرِيمِ...

فقالَ (خالدٌ): ولا نَدْري نَحْنُ ، هل هَذِه القِصَّةُ وارِدةٌ في القُرآنِ أم لا!!

وبَعْدَ تناولِ طَعامِ الغَداءِ.. دَخَلتْ (بُشْرى) غُرفةَ جَدِّها لِتَسْأَلَهُ ، فَوَجَدَتْهُ يصلِّي العَصْرَ...

جَلَستْ على الكُرسِيِّ تَنْتَظِرُ.

ولمَّا فَرَغَ من الصَّلاةِ ، سَأَلها: مالَكِ يا بُشْرى ، كأنَّكِ تُرِيدِيْنَ شيئاً؟

اقتربتْ (بُشْرى) من جَدِّها ، وقالتْ له: لقدْ قالَ مُدَرِّسُ التَّربيةِ الدِّينيَّةِ للطَّالبِ المُجْتهدِ (عُمير): أسألُ اللهَ أن يَجْعَلَك كَلُقمان الحَكيمِ..

فَمَنْ هُو لُقْمانُ الحَكِيمُ يا جَدِّي؟ وهل وردتْ قِصَّتُه في القُرآنِ الكريمِ؟

ابْتَسَمَ الجَدُّ... ولبسَ غِطاءَ رَأْسِه ، ونَهَضَ .. ثمَّ قال: سَأَحْكِي لكُم اليومَ حِكايَتَيْنِ إنْ شاءَ اللهُ...

حِكايةً كنتُ سَأَحْكيها لكُم ، وحكايةَ لُقْمان الحكيمِ الَّتي تَسْأَلِينَ عنها...

فرحتْ (بُشْرى) بذلك.. ثم سَألتْ جدَّها: الآنَ يا جَدِّي؟

أجابَ الجَدُّ: لا.. بلْ بَعْدَ أن تُكْمِلُوا كِتابةَ الوَظائِفِ.. وتَحْفَظُوا دُروسَكُمْ... نَجْتَمِعُ على شُرفةِ المَنْزِلِ.. ونَحْكي الحِكايَتَيْنِ...

هرعتْ (بُشْرى) إلى غُرْفةِ الأولادِ.. وأخبرتْ أخويها بذلك ، فَفَرِحُوا فَرَحاً كبيراً...

قال (خالدٌ): مِنْ أينَ أَرْسَلَكَ اللهُ يا جَدِّي... ما أَجْملَ حِكاياتِكَ...

وقالَ (طارقٌ): لعلَّ ذلك بِسَببِ رضا الله ورِضا الوالدَيْن...

أكملتْ (بُشْرى) وظائِفَها.. وحَفِظَتْ دُرُوسَها، ورَتَّبَتْ دفاتِرَها وكُتُبها، ثم خَرَجتْ باتِّجاهِ المَطْبخِ، فلم تَجِدْ والدتَها...

فَخَرجَتْ إلى شُرْفةِ المَنْزِلِ، فَوَجدتْ والدتَها تُنَظِّفُ وتَمْسَحُ... فَأَخْبَرَتْها بما وَعَدَها جَدُّها...

فقالتِ الأمُّ: هيَّا ساعِدِيْني، لِنُكْمِلَ سريعاً.. فإنِّي نويتُ أن أَصْنَعَ لكم نَوْعاً من الحَلَوِيَّاتِ الدِّمَشْقِيَّةِ...

وراحتْ (بُشْرى) تُساعِدُ وَالِدَتَها.. تَحْمِلُ أَغْراضاً تارةً، وتُنَظِّفُ الصُّحُونَ والمَلاعِقَ تارةً أُخْرى... وتلتفتُ إلى الصَّالُونِ... تريدُ أن تَعْرِفَ هل خَرَجَ جَدُّها أم لا؟

ولمَّا أَكْمَلَتْ (أمُّ خالدٍ) صُنْعَ الحَلْوى... وَضَعَتْها في الفُرْنِ..

وسَمِعتْ صوتَ الجَدِّ يقولُ: هيّا إلى شُرْفةِ المنزِلِ فقدْ حانَ وَقْتُ الحِكايةِ...

والتفَّ الأولادُ حَوْلَ الجَدِّ... وتَبِعَتْهُم والدتُهم ووالِدُهم... وراحَ الشَّيخُ حسينٌ يَرْوي الحِكايةَ الأُولى...

ذِكْرُ القُرآنِ قِصَّةَ لُقْمان

أنزلَ اللهُ تعالى سُورةً كامِلةً... وجَعَلَ عُنْوَانَها سُورة لُقْمان، وذَكَر اللهُ فيها قِصَّةَ لُقْمان الحَكيمِ...

وأُنْزِلتِ السُّورةُ في مَكَّةَ.. وعَدَدُ آياتها (٣٤) آية... منها قولُ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

وقد ذَكَر عُلَماءُ التَّفْسِيرِ والسِّيرِ أنَّ لُقْمانَ كان رَجُلاً أسودَ البَشَرةِ ، قَصِيرَ القَامَةِ ، وكان يعيشَ في إحْدى الغَاباتِ...

فَلمَّا أَصْبَحَ شَابّاً قَوِيّاً.. انْعَزَلَ عَنِ النَّاسِ الذينِ مِنْ حَوْلِه.. وراحَ يَسِيرُ في الغَابةِ..

ينظرُ إلى المَخْلُوقاتِ من حَوْلِهِ، ويَتَفَكَّرُ في هذا الكَوْنِ الفَسِيحِ...

ويَتَعَجَّبُ من الطُّيورِ كيفَ تَطِيرُ في الهوَاءِ ، ولا تَقَعُ على الأَرْضِ!

ويَلْتَفِتُ إلى الحَيَواناتِ ، ويَتَساءَلُ في نَفْسِه: مَنِ الَّذي عَلَّمَها كَيْفِيَّةَ الدِّفاعِ عن نَفْسها!... وفي المَساءِ يُصَعِّدُ بَصَرَه نحو السَّماءِ ، فيرى النُّجُومَ والكَواكِبَ ، فَيَتَساءلُ: ومَنِ الذَّي نَظَّمَ حَرَكةَ الأَفْلاكِ ، فلا يَصْطَدِمُ بعضُها ببعضٍ!!

الامْتِحانُ.. والنَّتيْجَةُ!!

وعلى هَذَا المِنْوالِ عاشَ أياماً وشُهُوراً.. حتى إذا ما كان ذاتَ يومٍ ، جلسَ بعد عَناءِ السَّيْرِ ، فَغَلَبَهُ النَّومُ ، فرأى في الرُّؤْيا من يُعَلِّمُه الحِكْمةَ..

وبالفِعْلِ اسْتَيْقَظَ (لُقْمانُ) فَشَعرَ براحةِ نَفْسٍ لم يَعْهَدْها من قبلُ.. وراحَ يَنْطِقُ بكلماتٍ لم يكنْ تَعَلَّمها ولا سَمِعَها من أحدٍ...

واقْتَنَعَ بأنَّ كُلَّ شَيءٍ في هذا الكَوْنِ الفَسِيحِ وراءه قُوَّةٌ خارِقةٌ قاهِرةٌ قوِيَّةٌ ، هي قُدْرةُ اللهِ سُبْحانه وتعالى...

وذاتَ يومٍ وَقَعَ (لُقْمانُ) في قَبْضَةِ عِصابةٍ من اللُّصُوصِ ، فساقُوه إلى رَئِيْسِهم..

وفي المَساءِ قادُوه مع ثُلَّةٍ من العَبِيدِ إلى السُّوقِ.. وباعُوه.. وقَبَضُوا ثَمَنَهُ...

أمَّا الرَّجُلُ الذي اشْتَراه ، فكانَ ذا مَكانةٍ ووجاهةٍ في قَوْمِه.. وكان رَجُلاً مِضْيافاً.. دائماً عِنْدَهُ ضُيُوفٌ...

وراحَ (لُقْمانُ) يَقُومُ بأَعْمالِ العَبِيْدِ والرَّقِيقِ... ، إلى أنْ جاءَ يومُ عِيدِهِمْ فاجْتَمَعَ النَّاسُ عندَهُ على مَوَائدِ الطَّعامِ...

فالتفتَ السَّيِّدُ إلى (لُقْمان) وَسَأَله: أَتَرى تلك الشَّاةَ التي يَذْبَحُها القَصَّابُ؟

قال (لُقْمانُ): نَعَمْ يا سَيِّدي.

قال السَّيِّدُ: امْضِ إليه ، وائْتِني بأَخْبَثِ ما في الشَّاةِ...

وانْطَلقَ (لُقْمانُ) ثم عادَ وهو يَحْمِلُ في يدِه لِسانَها وقلْبَها.. ، فَدَفَعَهُما إلى السَّيِّدِ، وقال: هذا أخبثُ ما في الشَّاةِ...

فأُعْجِبَ به سَيِّدهُ.. ثم قالَ له: أترى الشَّاةَ الثَّانيةَ التي تُذْبَحُ الآن؟

قال (لُقْمانُ): نَعَمْ يا سَيِّدي.

قالَ: انْطَلِقْ إليها فَائْتِنَا بأَطْيَبِ ما فِيها...

فَذَهَبَ ثُمَّ عادَ وفي يَدِه لِسانُها وقَلْبُها..

ودَفَعَهُما إلى السَّيِّدِ وقال: هذا أَطْيبُ ما في الشَّاةِ..

وتَعَجَّبَ الحاضِرُونَ..

فقالَ السَّيِّدُ: لقدْ طَلَبْنا منك أَخْبَثَ ما في الشَّاةِ ، فأتيتَ لنا بالقلبِ واللِّسانِ! وطَلَبْنا منكَ أطيبَ مافيها فَفَعَلْتَ نَفْسَ العَمَلِ!؟

فقالَ (لُقْمانُ): إنَّ القلبَ واللسانَ أطيبُ شَيءٍ إذا طابا ، وأَخْبَثُه إذا خَبُثا...

فَرِحَ السَّيِّدُ به فَرحَاً كبيراً ، وأَعْفَاهُ من أَعْمَالِ

العَبِيدِ.. وقَرَّبهُ إليه... حتَّى أَصْبَحَ يَصْحَبُه أيْنَما ذَهَبَ...!!

لُقْمانُ القَاضِي..!!

سألتْ (بُشْرَى) جَدَّها: وهَلْ أَمْضَى (لُقْمانُ) حَياتَهُ في العُبُودِيَّةِ والرِّقِّ؟

تابَعَ الجَدُّ الحِكايةَ: أبداً يا أحبابي.. ، فَقَدْ شَاعَ أَمْرُه وحِكْمَتهُ ، وذاعَ في كُلِّ مكانٍ.. ، وتَنَقَّلَ من مكانٍ لآخرَ.. والنَّاسُ يَجْلِسُون إليه لِيَسْتَفِيْدُوا من مواعِظهِ وحِكَمِهِ..

حتَّى إذا ما وَصَلَ إلى بلادِ بني إسْرائِيلَ.. وكان نَبِيُّ ذلكم الزَّمانِ داود عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، التقى به.. وسَمِعَ منه القَوْلَ الرَّائعَ... والحِكْمةَ في كُلِّ الأُمُورِ ، فعيَّنه في مَنْصِبِ القاضِي الأوَّلِ.

وسارَ في هذا العَمَلِ على أَحْسَنِ ما يَكُونُ حالُ القاضِي العادلِ ، فكانَ يَرْفَعُ لواءَ القِسْطِ بين

النَّاسِ ، وكان لا يَمِيلُ مَعَ خَصْمٍ ضِدَّ خَصْمِهِ... ، وكان يَفُضُّ المُنَازعاتِ ، ويَفْصِلُ في القَضَايا الحَسَّاسةِ...

وبذلكَ ارْتَفَعتْ مَكَانَتُه ، وازْدَادَ حُبُّ النَّاسِ له...

وإذا شاءَ اللهُ أَمرْاً كان لابُدَّ أنْ يَكُونَ ذلك...

من وَصِيَّةِ لُقْمانَ لِوَلَدِهِ

وهَكَذا يا أَحْبابي.. تَزَوَّجَ لُقْمانُ ، وأَنْجَبَ أَطْفالاً...

وذاتَ يـومْ أرادَ أن يُعَلِّـمَ واحِـداً مِـنْ أولادِه ، ويُرَبِّيهِ التَّرْبيةَ الصَّالحةَ السَّلِيمةَ ، فاصْطَحَبهُ إلى خَارجِ البيتِ ، وأَدْلَى له بِنَصائحَ رائِعةٍ ، منها:

١ ـ يا بُنَيَّ: لا تُشْرِكْ مَعَ اللهِ أَحداً ، لأنَّه الواحدُ الأحدُ... والفَرْدُ الصَّمَدُ.

٢ـ عليكَ بِطاعةِ والدَيْكَ ، فهما قَدْ تَعِبا مَعَكَ تعباً كَبِيراً...

٣ـ عليكَ يا بُنَيَّ بإقامةِ الصَّلاةِ ، والأَمْرِ بالمَعْروفِ ، والنَّهْي عن المُنْكَر ، والصَّبْرِ على المَكارِهِ.

٤ـ عليكَ بالتَّواضُعِ في كُلِّ شَيء.. فالكِبْرُ نهايتُه الحَتْمِيَّةُ بُغْضُ الله والنَّاسِ...

وفَتَحَ (أبو خالد) القُرآنَ الكَريمَ ، بعدَ أن اسْتأذَنَ والِدَه الشيخَ ، وراحَ يُرَتِّلُ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٢ ـ ١٩].

قال (الشَّيخُ حُسَينُ): أحسنتَ يا أبا خالدٍ.. فَتِلاوةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ شِفاءٌ للصُّدورِ... ، وتُعْطِي الفِكْرةَ وُضُوحاً لا مَثِيلَ له...

قالتْ (أمُّ خالدٍ): أَجَلْ.. فهو كَلامُ الله الذي لا يَرْتَقِي إليه الطَّيرُ ، ولا يَنْحَدِرُ إليه السَّيلُ ، ولا يستطيعُ أحدٌ أن يأتِيَ بمثلِ آيةٍ مِنْ آياتِهِ...

ثُمَّ تَوجَّهتْ نحو الأَطْفالِ قائِلةً:

هل حَفِظْتُم هذه الوَصَايا الرَّائعةَ.. إنَّها مَنْهَجُ

حَياةٍ.. وهي قَائِمةٌ تَرْبَوِيَّةٌ ، يَحْتَاجُها الصِّغارُ والكِبارُ...

قال الجَدُّ: الآن أنْهَيْتُ الحِكايةَ الأُولى... فهلْ نَبْدَأ الحِكايةَ الثَّانيةَ؟!

والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ